

﴿ باب العقائد من الامالى الدينية ﴾

الدرس العشرون — الوحي واقسامه

م (٦٠) امكان الوحي - تقدم ان اثبات النبوة يتوقف على اثبات كون الانسان مركباً من جسد وروح وأن الروح ليست من عالم الملك المادى المشهود وانما هي من ملكوت أعلى منغيب بحقيقته عنا وقد عرفنا ارواحنا بآثارها ، لا بكنهها واسرارها ، وكما يمتاز افراد من الناس بالقوة الجثمانية على سائر اهل قطرهم او على سائر الناس كقيصر روسيا السابق (اسكندر الثالث) الذى كانت تالين في يديه المعادن حتى ان كان لينمز الريال الروسي من وسطه بأصبعه فيصير مجوفاً كالنجانة ويضع فيه زهرة ويعطيها لاحدى عقائل النساء فى مجلسه ذاك . كذلك يكون لبعض الاناسي قوة روحانية يفوقون فيها سائر البشر . فاذا كان من اثر القوة الجسدية ما ذكرنا عن قيصر روسيا السابق فان من آثار قوة الروح فى البشر ما هو اظهر من ذلك وابعد فى التفاوت بين افراد الناس

آثار القوة الروحية سعة العقل والرفان وشدة العزيمة والارادة

المساعدة على العمل بما يحيط به العقل من المعرفة بالمصالح حتى اننا نرى الرجل الواحد يحيي امة او امماً بعد مماتها ، ويجمع شملها بعد شتاتها ، ويعمل ما تعجز عنه الملايين . كعمل السلطان صلاح الدين ، في قهر ملوك اوربا واعادة سلطنة المسلمين ، وكمال بسمرك في الوحدة الالمانية ، وواشنطن في تحرير البلاد الاميركانية ، حتى ان بعض اهل الزيف والجحود توهموا ان ما اعطيه الانبياء من سياسة البشر واصلاح شؤونهم وتقويم مدنيتهم هو نحو ما ذكرنا عن هؤلاء الملوك والسياسيين وما ابعده ما يتوهمون فان هؤلاء الرجال ظهروا في ايامها اديان تهديها ، وشرائع وقوانين تحكم بها ، وجيوش منظمة تحمي حقيقتها ، وتدافع عن حوزتها ، ولكنها اساءت استمالها ، اورزئت باهالها ، فارشدوها الى الانتفاع بما وهبت فعملت بارشادهم ، واسعدوها بالرأي الصحيح فسمعت باسعادهم ، فآين هذا من حال الانبياء المرسلين ، الذين بشوا في اقوام وثنيين ، يدعونهم الى ترك ما هم عليه من الاعتقادات ، ونبت ما اتوه من التقاليد والعادات ، ولم يكن لهم في ابان ظهورهم قوة ملك يعتمدون عليها ، ولا شرائع يقتبسون منها ، وهل قياس هؤلاء بأولئك ، الا كقياس الحدادين بالملائك ، ؛ وانما ضربنا بهم المثل لبعده المسافة بينهم وبين سائر الناس كما ان المسافة بينهم وبين الانبياء في البعد على نحو تلك النسبة او ابعده منها

م (٦١) ضروب الوحي وانواعه - الوحي في اللغة اختصاصك احدآ بكلام أو اعلام تخفيه عن غيره . وأصله الاشارة السريعة كما قال الراغب ووحى الله الى الانبياء عبارة عما يختصهم به من المعارف التي يريد ان يعملوا بها وان يلقوها الناس للاهتداء بها بحيث يكونون على بينة من ربهم وثقة

تامة بأن ذلك من لدنه سبحانه وتعالى . ولا يعلم كنهه الوحي وحقيقته الا من اختصهم الله تعالى به . وقصارى ما يصل اليه علمنا ان نعرف بالدليل انهم صادقون في دعوى الوحي وتبليغنا عن المليم الحكيم الرحمن الرحيم ما مست حاجتنا اليه ، وسبق التنبيه عليه ، وان نفهم ماورد عنهم في ذلك الوحي من بيانه ، ورسومه واقسامه

قال تعالى « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه عليّ حكيم » فالآية الشريفة ناطقة بأن طرق كلام الله لا نبياته ثلاثة احدها الوحي بلا واسطة وقد غلب هذا الاطلاق في العرف والاصطلاح . وانما تكون للنبي تلك الانواع او بعضها بالقوة الروحانية الفائقة التي فطره الله تعالى عليها

من وظيفة تلك القوة وآثارها تمزيق الحجب المادية التي حجبت الروح عن معالمها ، وكسر المقاطر الحسية^(١) التي عاقتها عن العروج الى عالمها ، فتخرج باذن الله تعالى الى الملكوت وتتصل بمن شاء الله تعالى من عماره المقربين - تتصل بالملك المسمى بروح القدس والروح الامين ، « وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم »

يتلقى النبي بهذا العروج الروحاني عن الله تعالى من المعارف التي لا ينالها الناس بكسبهم ما هم في اشد الحاجة اليه في نظام جمعيتهم وإصلاح احوال معيشتهم ولتطهير عقولهم من ادراك الشرك والجهل بالله تعالى

(١) المقاطر جمع مقطرة وهي خشبة فيها ثقب توضع فيها ارجل المحبوسين

وتنظيف نفوسهم من لوث الاخلاق الذميمة والسجايا الرديئة وتحليتهم بالمقائد الحقة والاخلاق الفاضلة والآداب الصحيحة والعبادات البدنية المرضية التي تمد المقائد والاخلاق والآداب وتستمد منها لانها كما يريد بين العقل والنفس . وبين الجسد والحس ، وهذا التلقى قد يكون بالالهام وعبرت عنه الآية بالوحي المطلق . وهذا الحرف مستعمل في القرآن بمعنى الالهام كما قال تعالى « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً » الخ . وقال جل ذكره « وأوحينا الى ام موسى ان ارضعيه » الآية . وليس كل موحى اليه بالالهام الصحيح نبياً مرسلأ بل النبي هو الموحى اليه بالدين الذي يرشد به الناس . وكذلك يقال في مكالة الملك التي وقعت للسيدة صريم عليها السلام وهي ايمت بنية على الصحيح الذي عليه الجمهور . والرؤيا الصادقة من هذا القسم وكانت اول وحي نبينا عليه الصلاة والسلام كما ورد في حديث البخارى المشهور . وادخل بعضهم الالتقاء في القلب في معنى وحي الالهام واستدلوا عليه بقول عبيد بن الأبرص :

واوحى الي الله ان قد تأمروا يا بل ابي اوفى ففقت على رجلي

نعم انه يريد بالوحي ان الله خلق في قلبه علماً بذلك لا يعرف مصدره وهذا هو الالهام . ولكن ورد في الحديث ذكر الالهام والنفث في الروح مضافاً الى روح القدس فيدل على انه يكون من القسم الثالث وهو الوحي بواسطة الرسول . والكل وحي وهذا الأول ما يكون بغير واسطة

هذا النوع من التلقى عن الله تعالى يحصل في روح النبي دفعة واحدة من غير ان تكون الروح متعلقة بشيء من الاشياء التي تشغلها عن الحس لتجتمع الهمة ويتم الانسلاخ عن العالم المادي والاتصال بالعالم الروحاني

وهو الوحي بدون واسطة مطلقاً . واما النوع الثاني فهو ما يقيض فيه
للنبي ما يتعلق به نفسه ، ويشغل به حسه ، حتى تجتمع الهمة ويصح توجه
الروح وتبلغ الكمال في قوتها العقلية ، بعد الانقطاع عن الشوائب الكونية ،
فيكون ذلك حجاباً له بين عالم الغيب وعالم الشهادة ويأتيه الوحي من وراء
هذا الحجاب . ومن ذلك النار التي رآها موسى عليه السلام في الشجرة فطار
اليها لبه ، وتعلق بها قلبه ، وانحصرت في مشكاتها روحه ، فكان منها
فتوحه ، وجاءه منها العلم والحكم « وكلم الله موسى تكليماً » وكل كلامه
تعالى يسمى وحياً ولذلك قال عز وجل « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى »
وبقي التلقى عن الله تعالى بواسطة الملك المسمى بالروح وهو القسم
الثالث المبرر عنه في الآية بقوله تعالى « او يرسل رسولا فيوحى » الى
النبي ويعلمه بما يلقى في قلبه « باذنه » تعالى « ما يشاء » سبحانه ان يوحى
كما قال « نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين » فهذه
الآية تدل على ان الملك يلقي ما يريد الله القاءه للنبي في القلب فهو خطاب
الروح للروح لما يكون بينهما من الاتصال . وقد ورد في الصحيح ان
الملك كان يمثل بهيئة انسان ويؤيده قوله تعالى « فأرسلنا اليها روحنا فتمثل
لها بشراً سوياً » . وهل يكون كلامه حينئذ كلام البشر كما في حديث
الايمن والاسلام والاحسان ام هو مناجاة روحية على كل حال كما هو
ظاهر قوله تعالى « نزل به الروح الامين على قلبك » ام يكون تارة هكذا
وتارة كذلك : الله ورساله اعلم

م (٦٢) الوقوف عند النصوص علينا ان نفهم النصوص وما لنا ان
تزيد فيها ولا ان ننقص منها لان هذا مما لا يعرف بالقياس . ولا مجال في

حقيقته للعقل وللحواس ، وما اختلف المختلفون وفرقوا دينهم وكانوا شيعياً هم كل فرقة الرد على الاخرى الا لتسمية هذا الوحي بأنواعه كلام الله تعالى وايحاءه تكليم الله عز وجل . ولو لم يرد الالفاظ الوحي والايحاء ، والتعليم والانباء ، كقوله تعالى « وعلمك ما لم تكن تعلم » وقوله تبارك اسمه « نبأني العليم الخبير » لما كان لهم ان يقولوا ما قالوه في الصفة النفسية والصفة اللفظية ولا ان يثبتوا له سبحانه صوتاً وحروراً الى غير ذلك مما نمسك عن الحوض فيه عملاً بهدي الراشدين . وفي الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان يسمع احياناً كهوت السلسلة على الصفوان ولعل ذلك حجاب كنار موسى . وقد علمنا من الآية أن القرآن الكريم اطلق لفظ التكليم على الوحي الذي بمعنى الالهام ورؤى المنام والذي بواسطة الحجاب والذي بواسطة الروح الذي ينزل على القلب . وظواهر الآيات تنأى بك عن قياس التمثيل ، وتربأ بنفسك عن القال والقبل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿ باب الاسئلة والاجوبة الدينية ﴾

(١) من الشيخ احمد محمد الالفي في طوخ القراموص : من اين اخذتم وتأخذون الاحكام التي اجبتم وتجييون بها على استئتنا عندما ما نقتموه عن الفزالي أهي باجتهاد منكم خاصة ام من مذاهب الأئمة المجتهدين ام خليط من هذا وذلك اه بنصه

(ج) لانكتب جواباً على اطلاقه الا اذا قام عندنا دليل على صحته توصلنا اليه ببحثنا واجتهادنا ولم نكتب جواباً مخالفاً لمذاهب الأئمة المجتهدين (٢) ومنه : هل يصح للمناظر ان يستدل باقوال الاصوليين والمتكلمين

والحديث والمفسرين والفقهاء المجتهدين والصوفية طبقة بعد اخرى ام لا بد ان يكون الدليل من الكتاب والسنة ليس الا . وهل الاجماع والقياس من اصول الدين كالكتاب والسنة في الاستدلال ام لا . وهل الآحاد لا يجوز العمل والاستدلال بروايتها اذا ثبتت صحتها ؛ والا فالفائدة منها اه بنصه (ج) انما يستدل المناظر بما تقوم به الحجة على خصمه فمن كان يناظر من يحتاج بكلام هؤلاء العلماء يصح له ان يحتاج عليه بكلامهم لاجل الالتزام كما هو معلوم من فن المناظرة . واما الاجماع والقياس فالجماهير يدونهما من اصول الاستدلال في الفقه على خلاف ترويه في محاورات المصلح والمقلد الآتية وبهذا تعلمون انهما ليسا محل وفاق كالكتاب والسنة . واما احاديث الآحاد الصحيحة فيحتاج بها في كل ما يكتفى فيه بالنظر كالأحكام واما ما يطلب فيه القطع كالأعتقادات فلا يستدل عليه بالآحاد . هذا ما اتفقوا عليه في جملة . وفي التفاصيل والجزئيات خلاف الحنفية في ترك احاديث الآحاد التي تخالف القياس الجلي

(٣) ومنه : ما نقلتموه عن الغزالي من تقسيم العلوم الى محمود ومذموم ليس غرضنا وانما صرانا هل قال احد من المجتهدين بمنع تعلم وتعليم العلوم الثقافية في الدنيا والآخرة الحالية من الآحاد والمفسدة حتى يمكن ان يقال ان مذاهبهم فيها ما يمنع الترقى المادى والمنوى . وهل علم الكلام وعلم التصوف وتدوينهما فنامستقلا كغيرهما من العلوم الحادثة بمحدث الاسلام على ما ذهب اليه ائمة الهدى ومصابيح الدجى من جمهور اهل السنة والجماعة يعد مفسدة في الدين والدنيا . واذا كان كذلك فما حكم من عمل بهما من المسلمين . والا فلما معنى انتقاد تدوينهما والاخذ بأحكامها اه بنصه .

(ج) ما كان يخطر في بالنا ان احداً يسأل السؤال الأول فكيف يسأله من يعلم من توقيع مكاتيبه انه « خادم العلوم والآداب » وكيف يمنع مجتهد في العلم تعليم ما ينفع في الدنيا والآخرة ولا ضرر فيه مطلقاً!!! أما العلوم النافعة في الدين فهي علوم المجتهدين الذين تضمنهم وأما العلوم الكونية التي كان يرجى ان ترتقي بها مدينة المسلمين وترتقي دنياهم فلم تنتشر فيهم الا بعد الائمة الأربعة . وقد شن الغارة على اصحابها علماء مذاهبيهم ودموا علومهم وحرموها ورموا المشتغلين بها بالكفر والالحاد كابن سينا وابن رشد والفارابي والغزالي وكمال الدين بن معية واضرابهم وما زالوا يطاردونهم ويستعينون بالاصراء عليهم حتى اضمحلوا وتلاشت علومهم ثم عادوا الى الاعتراف بفضل بعضهم كالامام الغزالي الذي حكموا باحراق كتابه احياء علوم الدين في الشرق والغرب حتى كان يحرق في اسواق القاهرة اكداساً اكداساً . وما اجمعوا على فضله بعد موته الا لأنه زهد في الدنيا وقضى سائر عمره في التأليف في الاخلاق والرقائق . وقد كان من تأثير هذه الغارة ان المسلمين تركوا تلك العلوم حتى الطب منها وقد شكوا الغزالي في احيائه من فقد الاطباء المسلمين ومما كذب به مزاعم الفقهاء الذين يزعمون انهم يشتغلون بدقائق الفقه لانه فرض كفاية انهم لو كانوا صادقين لأحيوا فن الطب لأنه من فروض الكفايات المتروكة بخلاف الفقه . ولا يزال فقهاؤنا الى اليوم يذمون علوم الدنيا مع علمهم بأن الدين لا يحفظ الا بالدنيا وان القوة فيها موقوفة في هذا العصر على هذه العلوم والتقنون . ولعل السائل لم يفس المقالات التي كتبت في المؤيد منذ نحو سنة في ذم اهلها والهندسة وتقويم البلدان . فالمتقدون في هذا المقام

ينتقدون امثال هؤلاء الذين يعتقد عامة المسلمين انهم حفظة الدين لا انهم ينتقدون الائمة كابى حنيفة ومالك والشافعي واحمد رضى الله تعالى عنهم واما علم الكلام فقد حدث في الملة على عهد الائمة فخر موه وذم موه وقد نقلنا اقوالهم في ذلك في المسئلة ٥٢ من الدرس السابع عشر من الامالى الدينية المنشور في الجزء الاخير من مجلد المنار الثالث . وقد جمعنا ثمة بين اقوالهم وبين ما ذهب اليه الخلف من استحسان علم الكلام والقول بلزومه فراجعه

واما علم التصوف فهو على قسمين القسم الاول ما يتكلمون فيه على تهذيب الاخلاق وتاديب النفوس باآداب الدين ومحاسبتها على الاخلاص لله تعالى ومطالبتها بكمال التوحيد الذى لا يشهد صاحبه فعلا لغير الله تعالى ويرى الخلق مسخرين في قبضته مع عدم الغفلة عن الاسباب التى اقتضتها الحكمة وتم بها النظام وهذا هو لباب الشريعة ورجاله رجال الرسالة القشيرية واضرابهم رضى الله تعالى عنهم . وكان هؤلاء على طريقة الصعابة والتابعين في اخلاقهم وادابهم وزادوا عليهم الكتابة والتأليف - ونعمت الزيادة - والمبالغة في ترك الدنيا وذمها زهدا فيها وقد كان لهذا اثرين في كسل المسلمين وتقاعدهم عن الترقى في الدنيا وقد بينا عذرهم في بعض ما كتبنا ولما نذكره في المنار بعد . وهذا القسم من التصوف يسمونه التخلق والقسم الثانى يسمونه التحقيق وعلمه علم الاسرار ويتكلمون فيه عن الاذواق والمواجد وعما وراء الحس من عوالم الغيب وعن الذات الالهية والصفات العلية ووحدة الوجود وهناك المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة التى تاه فيها الادلاء وغرق فيها الملاحون وكان التأليف

فيها طامة كبرى ومصيبة عظيمة . ولقد كان الشيوخ الاجلاء ينكرون الكلام فيها فما بالك بالتأليف والتصنيف حتى ان الاستاذ الجنيد أفتى مع الفقهاء بقتل الخلاج . اما منبع هذه الطريقة فهو الصين ثم انتشرت في الهند وانتقلت وساورها الى اليونان . ولما امتدت الفتوحات الاسلامية وامتزج المسلمون بجميع امم الارض مزجوا علومهم بما اخذوه عن تلك الامم وصنعوه بصيغة الدين ولو نوه بلونه وذهبوا فيه مذاهب شتى . وكان اشد تلك المذاهب فتكاً في الاسلام مذهب الباطنية وله شعب وفروع وقد راج كثير من مسائله على كثيرين من اهل السنة باسم هذا القسم الثاني من التصوف وقد شرحنا هذا في اجزاء من المنار وسنفضله بعد تفصيلاً . وقد شن العارة المتكلمون والفقهاء على اهل هذا القسم من المتصوفة واقتوا بكفرهم وساعدتهم عليهم الاصراء بالقتل والنفي وأتذكر انهم ساءخوا جلود عدد كبير منهم في مصر القاهرة في يوم مشهود . وربما اخذ البريء بجزيرة الاثيم وقتل الصادق بذنب المارق

والحاصل ان الميزان الذي يعرف به الحق والباطل والراجح في دين الله والمرجوح هو كتاب الله المعصوم والسنة النبوية الشريفة المبينة له وسيرة اهل الصدر الاول العاملين به على اكمل الوجوه . وكل احد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا المعصوم كما نقل عن الامام مالك رضى الله عنه وقد طال الكلام وسنجيب على بقية الاسئلة التي تفيد الامة في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى